بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة -20-

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أرحّب بالسادة العلماء الأفاضل، أحيّيكم جميعًا بتحيّة الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بدأنا في المرحلة الثالثة مرحلة أعظم صفاتها أنّها مرحلة الصدع بما أمر به سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، بمعنى نقل الخير إلى الغير، هذا الخير الذي تجمّع عندك بفضل الله تبارك تعالى أوّلًا، وبما استودع الله عزّ وجلّ فيك من نقاء وصفاء وطهارة، وزادك طهرًا على طهر، ونورًا على نور بفضله وكرمه، وبمجاهدتك وقيامك بأعظم الشعائر، وتقوية صلتك به، كأنّ الله سبحانه هو المتحدّث مع سيّدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه المباركين، فهذا الخير لا بُدَّ أنْ تبدأ فيه بنشره بشكل فاعل وقوي جدًّا، وليس بشكل فردي كما كان في المرحلة الثانية؛ فلذلك الصَّدْع معناه الشقّ بقوّة، يصدّعون، ومنه الصداع؛ لأنّ فيه الضغط والقوّة والشدّة، فبهذا الشكل ينبغي لمَنْ كان ربّانيًّا وتربّي على الأسس التي سبق ذكرها في المرحلتين الأولى والثانية أنْ يكون هكذا.

فنزلت سورة (المدثّر) الكريمة، وبدأت هذه المرحلة والتي من سماتها نقل الخير للغير، ومن سماتها أنْ يكون الابتلاء شديدًا، والاختبار صعبًا، لماذا؟

لأنّ هذا الدِّين الذي وقر في القلب تصـــديقًا، وتحدّث به اللســـان إقرارًا، وتجسّـــدت معالمه في حركة الحياة عبادةً وتوجّهًا إلى الله تبارك وتعالى، وتعميرًا للأرض، لا يقبل ولا يتمّ إلّا إذا أسّس على الحبّ، وكلّ حبّ دعوى، وهذه الدعوى تحتاج إلى شـــهود، تحتاج إلى معالم تدلّ على صـــدق مدعي المحبة، صـــدق مَنْ يقول: أنا أحبّ، فإذا كنت تحبّ الله ســـبحانه وتعالى، وتحبّ سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، تحبّ هذا الدّين، فلا بُدّ أنْ نختبرك، يقول الحق جلّ جلاله:

{أَلَم ۞ أَحَسِـــبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [ســـورة العنكبوت: 1 - 2].

فيلاحظ أنّ الفتنة بدأتْ على أشدّها، كانت بصور فرديّة في المرحلة الثانية، والذي لديه قوة عشائرية، أو صديق من الأمراء، من رؤساء القبائل يحميه، هذه كلّها لها شواهد في السيرة النبوية الشريفة، ونحن نريد العبرة والفحوى، والذي يريد أنْ يتشـرّف بشـواهدها فليذهب ويقرأ في كتب السـيرة النبوية، سيرة ابن هشام، والرحيق المختوم، فقه السيرة للشيخ البوطي، رحمهم الله تعالى ورحم علماء المســـلمين جميعًا، كتب الســـيرة كثيرة جدًّا، ولكن هذا الثراء، وهذه الشواهد لسنا بحاجة ماسّة لها بقدر حاجتنا أنْ نفهم العبرة.

أيّها الداعي العبرة أنّ الذي لا يقوم على الحبّ، والحبّ لا بُدّ فيه من الحرق، لا بُدَّ منْ حرْق القلب في المحبة؛ حتى يؤدي إلى طهو المبادئ المستقرة في القلب، وإنضـــاجها، والتمسّـــك بها، ومن دون حرق لا يوجد غذاء، فتبقى الأمور نيئة لا يجرعها الإنســـان، لا بُدَّ أنْ تكون مطبوخة، لا بُدَّ أنْ تكون لذيذة، فما أعذب العذاب في المحبّة، وما أحلى المرارة في المودّة.

فبدأت تتسع دائرة صفة الاضطهاد والعذاب، وتختلف نوعيتها، تشتد في المرحلة الثانية ضراوة، وكان سيّدنا النبي عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه المباركين منيعًا بعمّه، بعشيرته، النّاس يحسبون حسابًا إنْ تعدّوا عليه، ولكن الضعيف مثل سيّدنا بلال ليس عنده أحد، وسيّدنا عمار بن ياسر، هؤلاء بعض العبيد والإماء، جرت عليهم أنواع من العذاب، والذي صمد نال الدرجات العالية في إثبات المحبّة، وربّ العالمين سبحانه وتعالى كريم ورحيم، أعطى سعة ورحمة لمَنْ يعتبر نفسه مضطرًا، يقول الله جلّ جلاله:-

{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [سورة النحل: 106].

ولكن مع ذلك هذا الذي قلبه مطمئن بالإيمان وقال ما قال لم يفرح، ولم يذهب لينام رغيدًا؛ لأنّه قد خلص من العذاب، لا، وإنّما أتى عند الحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب، ولسان حاله يقول: أنا كئيب وحزين لأنّي قلت فيك قولًا، فأنزل الله جلّ وعلا:-

{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}.

لكن نعوذ بالله الذي ينقلب على عقبيه، وينكر المحبة، ويكفر ويجحد، فهذا خسر الدنيا والآخرة -نعوذ بالله تعالى-.

فهذه الصفة دائرتها اتسعت في المرحلة الثالثة، لأنّه لا بُدَّ أنْ تثبت معالم الدِّين؛ لتأتي الثمرات، مثلما ذكر ربّ العالمين مثلا للكلمة الطيبة بأنّها:-

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [سورة سيدنا إبراهيم عليه السلام: 24 - 25].

فالجذور ضربت في الأرض، هذا في المرحلة الأولى، هذا هو حال المؤمن الصادق في هذه المرحلة.

هذا الحال ظهر على أشدّه؛ فبدأت المعارضة الشديدة إلى درجة أنّهم فكّروا في قتل الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، الذي عنده عشيرة، وعنده قوّة، ولكن مع ذلك فكّروا في قتله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فكّروا في حصاره مع عشيرته، وفعلًا حاصروهم، والحصار استمر سنوات، وهذا كلّه من باب إثبات دعوى المحبة؛ لأنّ الإيمان لا يثبت إلا بالاختبار والابتلاء، فإنْ كنتَ محبًّا فعلًا وبعتَ نفسك لمَنْ تحبّ فذلك الوقت سيشهد لك دموعك ونحول جسمك، واصفرار لونك، بَذْلُكَ وعطاؤك، فسيّدنا الصديق رضي الله تعالى عنه، يأتي ويشتري العبيد ويعتقهم، وهو مؤمن منذ أيّام فقط، وليس مثلنا لنا سنوات مؤمنون، ونسمع محاضرات، بل نحن نلقي محاضرات يوميًّا، والحمد لله نصلّي الصلوات الخمس، وفي ذلك الوقت لم تكن الصلوات الخمس! فمن أينَ هذا اليقين؟ لولا الحبّ لَمَا كان هذا البذل، لَمَا كان هذا العطاء، لولا هذا التملك، تملُّك المحبّ لكلّ ما يريده حبيبه، وبيعه نفسه لحبيبه لا تكون هذه الصور من البذل والعطاء، مثلما سنرى في تحمّلهم الحصار، وتحمّلوا التعذيب، واضطروا أنْ يتركوا مكّة مرّتين، فهذه أشكال وأنواع من الاضطهادات

كلّها لماذا؟ ليبقى هذا التواصـــل القائم على المحبّة الصـــادقة بينك وبين مَنْ تحبّ.

إذنْ: بعد تقوية الصلة بالخالق سبحانه لا يلام المحبّ حينما يناجي من يحبّ، وقد تقرؤون جزاكم الله تعالى خيرًا في موالد مثل الشيخ وليد الفلوجي رحمه الله جلّ وعلا، وغيره من المنشدين والمدّاحين، وتحفظون بعض الأبيات:-

تَـمَـلَّـكْـتُـمُ عَـقْلِي وَطَرْفِي وَمَسْمَعِي *** وَرُوْحِـي وَأَحْشَائِي وَكُلِّي وَأَجْمَعِي

طيب حينما يقول هذا الكلام فأينَ الدليل؟ وأينَ الإثبات؟

وَتَـيَّـهْـتُـمُـوْنِي فِي بَدِيْـعِ جَمَالِكُمْ فَلَمْ *** أَدْرِ فِـي بَحْرِ الهَـوَى أَيْنَ مَـوْضِـعِي

وَأَوْصَـيْـتُـمُـوْنِـي لَا أَبُـوْحُ بِسِـرِّكُمْ *** فَـبَـاحَ بِـمَـا أُخْـفِـي فَـيْـضُ أَدْمُـعِـي

وَلَـمَّـا فَـنِـيَ صَبْرِي وَقَـلّ تَجَـلُّـدِي *** وَفَارَقَـنِي نَوْمِي وَحُـرِّمْـتُ مَضْجَعِي

أَتَـيْـتُ لِقَاضِي الحُبِّ قُـلْـتُ أَحِبَّـتِي *** جَفَـوْنِي وَقَالُوْا أَنْتَ فِي الحُبِّ مُدَّعِي

وَعِنْدِي شُهُـوْدٌ بِالصَّبَابَـةِ وَالأَسَـى *** يُـزَكُّـوْنَ دَعْـوَايَ إِذَا جِـئْـتُ أَدَّعِـي

سُهَادِي وَوَجْدِي وَاكْتِئَابِي وَلَوْعَتِي *** وَشَوْقِي وَسَقْمِي وَاصْفِرَارِي وَأَدْمُعِي

بعد كلّ هذا، فهل هم بعيدون؟ هل نسيهم؟ قال:-

وَمِـنْ عَـجَـبٍ أَنِّـي أَحِـنُّ إِلَـيْـهُـم *** وَأَسْـأَلُ شَـوْقًـا عَـنْـهُـمُ وَهُـمُ مَـعِـي

وَتَـبْـكِـيْـهُمُ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا *** وَيَشْكُو النَّوَى قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِـي

فَإِنْ طَـالَبُوْنِي فِي حُقُوْقِ هَـوَاهُمُ *** فَـإِنِّـــي فَـقِـيْـرٌ لَا عَـلَـيَّ وَلَا مَـعِـــي

وَإِنْ سَجَنُوْنِي فِي سُجُوْنِ هَوَاهُمُ *** دَخَـلْـتُ عَـلَـيْـهِـمْ بِـالـشَّـفِـيْـعِ المُـشَـفَّـعِ

إذن: أنت تحبّ ولا بُدَّ أنْ تعلن عمَّنْ تحبَ، لا بُدَّ أنْ تدعو لمَنْ تحبّ، من دون حبّ لا تستقيم الحياة، من أصغر حلقاتها إلى أعظمها وأكبرها، فتخيّل بيتًا وأسرةً ولو من زوج وزوجة لا تقوم على المحبّة والمودّة، المشاكل فيها

(24) ســـاعة نعوذ بالله تبارك وتعالى، أمّا إذا بُنيت على المودّة المحبّة، فأبشر ببيت مستقر مطمئنّ مثمر مستقبلًا بثمار عظيمة جليلة مؤثرة فاعلة، حتى الزوجان تكون عندهم ثمرات عظيمة ويانعة، المؤســســـة إنْ لم تربط المودة والاحترام بين أفرادها، بين الموظفين ومديريهم، كيف تكون هذه المؤســسـة؟ لا تكون فاعلة ولا مثمرة، وإنّما تكون قائمة على الخيانة، على الغدر، على الكذب، على السّـــرقة، كلّ شـــيء يخطر ببالكم من جرائم، إلّا اللهمّ لأجل الحصـــول على الفُتات يكون قليلا من الالتزام ببعض القوانين، وبمجرد أنْ صار عنده مجالًا تراه نعوذ بالله تعالى يعمل ما يشاء.

أذكر أنّ أحد أحبابنا كان عندهم معاملة تقاعد، وقد وضعوا كاميرات مراقبة، والموظف مراقب بالكاميرا، لا يستطيع أنْ يستلم الرشوة هكذا يدًا بيد، ولا يكمل المعاملة، فالموظف يعطيه إشـــارة أن ادفع لي، فقال له: دبّر هذه المسألة، فقال: أنت تدخّن؟ قال: نعم، قال اذهب كأنّك تدخّن، وضع الرشوة داخل علبة الســجائر، وكأنّك تنســاها على مكتبي واتركها واذهب، انظروا كيف تحايل حتّى على الكاميرا، لماذا؟ لأنّه لا يحبّ المؤسسة، لا يحبّ هذا النظام الذي يعمل به، ليس عنده حرص عليه.

فمن دون الحبّ تصبح البيوت المؤسسات وكأنّها بيت العنكبوت نعوذ بالله سبحانه، سمعت ممّنْ يعنون ويتابعون الحشرات والطيور فذكر لي أحدهم بمناسبة قوله عزّ شأنه:

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [سورة العنكبوت: 41].

لماذا بيت العنكبوت؟ قال: لأنّه لا توجد محبّة، لم يقم بناؤه على هذا العنصر، يضرب الله عزّ وجلّ مثلًا بها، لأنّ هذه صفحة الحياة، صفحة فيها مدارس وجامعات ومؤسسات، لأجل أنْ يتعلّم الإنسان بشكل مجسّد وليس قولًا فحسب؛ فكيف حال بيت العنكبوت؟ قال: بعد دخول الذكر بالأنثى للتلقيح، فبمجرد أنْ تلقحتِ الأنثى فإنَّ أوّل شيء تقوم به هو قتل زوجها، وتخرجه خارج البيت! هذا أوّل تكريم من الزوجة لزوجها! ثمّ إذا حملت وأنجبت وأصبح هنالك صغار، هؤلاء الصغار بمجرد أنْ يكبروا قليلًا، ويصبح عندهم قوّة، كلّهم يتآمرون على أمّهم، ويقتلونها شرّ قتلة، ويخرجونها خارج بيت العنكبوت، ثمّ بعد ذلك تنشب الحرب بين الأولاد أنفسهم القويّ يأكل الضعيف! يا لطيف، ما هذا البيت؟ ما هي العلة؟ لا توجد محبّة، واذهبوا اقرأوا واطّلعوا، فالإنترنت الآن لا يُخفي شيئًا، اقرأوا عن جرائم القتل في الأُسَرِ، وشاهدوا كم واحدًا قتل أولاده! كم، وكم، وكم؟ نعوذ بالله تبارك وتعالى، لماذا؟ لأنّهم بعيدون كلّ البُعد عن الإيمان الحقّ، الإيمان الحقّ قائم على الحبّ.

إذنْ: هذا الذي استقرّ في القلب محبّة ومودّة، ثمّ بدأت حرارة المحبّة تزداد في القلب، فنضجت هذه المبادئ، فسبحان الله أنبت هذه الشجرة نباتًا حسنًا، وبدأت الثمرات الطيّبات المباركات تُقطف في المجتمع، ولكن تحتاج إلى صبر، فهذا الحريق، وهذا الابتلاء، وهذا الاختبار، يحتاج إلى صبر.

إذنْ: هذه المرحلة الثالثة تبدأ من قول الله تبارك اسمه:-

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [سورة المدثر: 1].

هذه الآية الكريمة ومثيلاتها:-

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [سورة الحجر: 94].

{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [سورة الشعراء: 214].

وغيرها من النصوص، في السنّة النبوية المطهّرة نصوص الدعوة إلى الله عزّ وجلّ:-

(لأَنْ يهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ) متفق عليه.

نرى أنّ الله عزّ وجلّ في سورة المدثر يعلّمنا الأدب الذي في بداية سورة المزمّل، فهذا تأكيد لهذا الأدب، يقول الله عزّ شأنه:-

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

إنّ الرسول الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه الميامين، لا ينادي باسمه المجرّد، وأعجب ممّن ينسب إلى العلم يقول: في الصلاة يجب أنْ تقول: اللهمّ صلِّ على محمّد، ولا تقل اللهمّ صلِّ على سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وإنْ كانت هذه ليستْ صيغة نداء، وإنّما هذا دعاء، توجّه إلى الله عزّ وجلّ، ثمّ نقول: لماذا؟ يحتج بحديث الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع حضرة الحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب:

(سَأَلْنَا رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُم أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ علَيْكُم؟ قَالَ: قُوْلُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ، إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه

إذا نقلت نصّ حديث فيجب أنْ تنقله هكذا، إذا قلت: قال رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، فانتبه لا تزد سيّدنا محمّد، فيجب أنْ تروي الحديث مثلما قاله النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، ولكن حينما تأتي في التطبيق فأنت لا تأخذ نصًّا واحدًا، وإنّما تجمع بين النصوص، ألم يقل عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين:-

(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

لماذا يقول لك هذا الشيء أيها الداعي؟ لكي تقول هذه الصيغة يا سيّدي، إذن أنت سيّد ولد آدم فأنت سيّدي؛ وفي التحيّات في الحديث نفسه، حديث السلام ماذا عن السلام في البداية، هل قال السلام عليك باسمه المجرّد؟ لا، وإنّما بالصّفة، السلام عليك أيّها النّبيّ، فلا يريد لهذه الأمّة أنْ تكون غبيّة - حاشاكم- وإنّما يريد أنْ تكون ذكيّة، يقول: إنّي علّمتكم في السلام كيف تسلّمون عليَّ، فهنا أقول لكم هذا النصّ ولا أعيد عليكم أنْ تقولوا سيّدنا محمّد، يعلّمنا التواضع، هو يقول لنا: أنا سيّد الخلق، ولكن آتي باسمي مجرّدًا، أعلّمكم التواضع، هو له عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام هذا الحقّ، ولكن أنت مؤمن متّبع لسيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الثقات العدول ليس لك حقّ، لأنّك نهيتَ عن هذا، قال تبارك في علاه:-

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا} [سورة النور: 63].

فهل هناك أكثر من هذا النهي؟ يأتي شخص منسوب للعلم يقول هذا! ولو أنّه يقول مثلًا: لا تقولوا هكذا، فالأفضل أنْ تقولوها هكذا، لكان هيّنًا، وفيه

وجهة نظر، ولكن يأتي فيقول: هذا ابتداع، لا يجوز أنْ تقولَ (سـيّدنا)! فمن أين له هذا العلم؟ الله تعالى أعلم.

يقول الحق جلّ ذكره:-

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ} [سورة المدثر: 1 - 2] .

إذنْ يعلّمنا الأدب مع الحبيب عليه الصـلاة والسـلام وآله وصـحبه الكرام، وفيما بيننا بعضـنا مع بعض: أنزلوا الناس منازلهم، أنت داع إلى الله عزّ وجلّ لا بُدَّ أنْ تنزل النّاس منازلهم، لا بُدَّ أنْ تتعلّم من كتاب الله تبارك وتعالى كيف تحترم النّاس؛ فهذا يدخل في الكلية الأولى (شخصية الداعي) وفي الكلية الثانية (معالم ما ندعوا إليه) وفي الكلية الخامسـة (أنّ الحياة تتكامل وتتجمّل بهذه الآداب، وبهذه الأخلاق، وبهذه المشـاعر، وبهذه المحبة).

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ}.

الإنذار أيْ أنّ هنالك خطرًا أمامك، أنت تنذر منه، وهل هنالك خطر أعظم من هذا الخطر، خطر أنْ يكون مخلداً في الجحيم -نعوذ بالله تبارك وتعالى- في العذاب الأليم؟ هل هنالك خطر أسوأ وأقسى من أنْ يعيش الإنسان على هذه الكرة الأرضية ينعم بنعم ربّ البرية وفضله سبحانه، وهو صادٌّ عنه؟! إلى آخره من مظاهر ضَـنْكَ العيش، وتعب القلب، وتعب الجوارح، ليس هنالك أعظم من هذه المخاطر. ولو يبقون يقبّلون التراب الذي داس عليه حضـرة الحبيب صـلّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصـحبه أهل الطيب، ليجازوه عن هذا الخير الذي أتاهم به لمَا أعطوه حقّه صـلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، يقول الله جلّ وعلا:-

{قُمْ فَأَنذِرْ}

في الإنذار ستكون هنالك اضطرابات، لأنّ هذا احتكاك، وكلّ احتكاك يولّد شَرَارًا، عظمَ أو ضَعفَ، هنالك شرارة، كُلَّ احتكاك هناك شرارة، طالما هناك احتكاك هناك شرارة، مهما كان المكان، مهما كان الزمان، فهنالك نسبة من الشرارة، ابتلاًء، اختبارًا، إنضاجًا، إثبات مواقف، لذلك عندما يقول لي أحد من الشباب ومن الأخوات أنّه مقبل أو مقبلة على مرحلة زواج، أوّل نصيحة أقولها له: هذه المرحلة فيها صعوبات، فيها شرارة، ينبغي أنْ تنتبه، فحينما يأتون وفي فكرهم أنّهم يعيشون أحسن عيشة وليس فيها أيّ مشاكل، ويقول: أنا كنت أحبّها، وهي تحبّني، إلخ، من هذا الكلام الرائج، فهذا كلّه لا يدلّ على أنّه سيعيش في جنّة، يا بني.. يا ابنتي، الدّنيا ليس فيها الجنّة، الجنّة في الآخرة، هناك جنّة في الدنيا لكنّ هذه للمستويات العالية، جدًّا أمّا عموم الخلق فلا يبلغوها، والله تعالى أعلم، فانتبهي يا ابنتي أنت مقبلة على مرحلة فيها ما فيها، لماذا؟ لأنّ فيها احتكاكًا بين اثنين، لا بُدَّ من شرارة، يقول الله جلّ جلاله:-

{قُمْ فَأَنذِرْ}

سوف تكون هنالك شرارة، الله تعالى أعلم بشدّتها وقوّتها وضعفها، ماذا تحتاج هنا؟ تحتاج هنا للانتباه لصلتك بالله عزّ وجلّ:-

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [سورة المدثر: 3]

انتبه أيّها الدّاعي هنا، تقوم تنذرُ فتكون هناك شرارة وتضعِفُ صِلَتك بالله تبارك وتعالى، لا، ابقَ في رياض تكبير وتعظيم صلتك بالله سبحانه.

{وَرَبَّكَ فَكَبِّر}

كلُّ الأوامر التي جاءتْ في القرآن الكريم إلى حضـــرة خاتم النبيين عليه الصـــلاة والتســـليم وآله وصـــحبه أجمعين، من حيث القرائن ســـواء كانت القرائن لفظية أم حالية فلا يراد بها حضرة النبيّ سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وســـلّم عليه وآله وصـــحبه ومَنْ والاه فحســـب، إلّا إذا جاء دليل التخصـــيص؛ لأنّ النبيّ صـــلوات ربّي وســـلامه عليه وآله وصـــحبه في الكمالات، بل في أرقى الكمالات، من حيث التطبيق لا يحتاج أنْ يقال له:-

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} [سورة الأحزاب: 1]

أنت تحتاج أيّها الداعي أنْ يقال لك: اتقِ الله، أنت تحتاج يا أيّها الدّاعي أنْ يقال لك:-

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}

فالرّسـول الأعظم صـلّى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلّم لا يحتاج إلى هذا، إذنْ لماذا يأتي الكلام موجّهًا إلى خير الأنام الحبيب المصـطفى صـلّى الله تعالى وســـلّم عليه وآله وصـــحبه أهل الصـــدق والوفا؟ الذي فهمته من تشـرّفي بالقرآن الكريم ودراســة القرآن الكريم أنّ عظائِم الأمور، والأمور الكبيرة التي لها آثار كبيرة في حياة الإنســـان، ســـواء كانت في المرحلة الدنيوية أو البرزخية أو الأخروية، إذا كانت عظيمة يأتي الخطاب إلى العبد موجهًا إلى شخص الحبيب صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه لماذا؟ حتّى ينتبه العبد، وهناك مَنْ يقول: هذه خوطب بها الحبيب المحبوب عليه الصـــلاة والســـلام وآله وصـــحبه أتقياء القلوب! ويفهم منها ما يفهم، ولكن بالنسـبة لي أفهمها على أنّها ليسـتْ خطابًا للنبيّ صـلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل

الكرام هو المشــرِّع، هو يعلّمنا كيف نكبّر ربَّ العالمين، ولا يحتاج أنْ يقال له:-

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}

وهو يعلّمنا على التقوى وأصـــولها، ويبيّن لنا ثمرات التقوى، لا يحتاج أنْ يقال له:-

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، لا يحتاج أنْ يقال له:-

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم} [سورة الأنعام: 52]

بل أنتَ أيّها الداعي تحتاج إلى هذا، لتعرف كيف تدعو إلى الله عزّ وجلّ.

إذنْ قوله تعالى:-

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}تعميق وتأكيد على ضـــرورة حفاظك على صـــلتك بربّك ســـبحانه، وهذه الصـــلة قائمة من المرحلة الأولى إلى انتهاء حياتك الدنيا، وينبغي أنْ يكون قيامها بوتيرة التصاعد، لأنّ عندك صلة بالله تعالى فطرية غريزية بسيطة، بدأتَ تغذيها -بفضل الأبوين وتربيتهم لك- شيئًا فشيئًا، بدأتَ تربّي هذه الصلة وتقوّيها، بعد ذلك لمّا بلغتَ بفضل الشرع الشريف وما جاءك من خير، وما جاءك من هدايات وأحكام بدأت تلتزم، إلى أنْ تخرج من دار التكليف بتســـليم الأمانة إلى الله جلّ في علاه يجب أنْ تكون تصـــاعدية، ولكن الله عزّ وجلّ لطيفٌ بعباده ســـبحانه، رحيم رؤوف، وإنْ أصاب هذه الوتيرة ضعف -لا قدّر الله- أو وقفتْ هذه الوتيرة، أو تراجعت -عياذًا بالله تبارك وتعالى- فيا أيّها العبد ينبغي عليك أنْ تتوب التوبة النصوحة بشروطها، فتقلع عن هذا الذنب الذي أدّى إلى ضعف الوتيرة، أو

توقفها، أو نعوذ بالله انتكاســتها، نقلع عن هذه الذنوب، وتندم على ما فعلت، وتعزم على ألّا تعود، وإنْ كانت الذنوب من باب الحقوق مع العباد فبرّئ ذمتك، فهذه الوتيرة يجب أنْ تحافظ عليها، لا بُدَّ أنْ تجعلها تزيد تصــاعديًا، اجعل لك خطًا بيانيًا، وقِسْ، مثلًا الصلاة: حينما تصلّي صلاة الفجر ركعتين ينبغي أنْ يكون حالك في الركعة الثانية أفضــل وأتمّ من الركعة الأولى، فالركعة الأولى رفعتك، فأصــبحت في الركعة الثانية في مرتبة أعلى، هكذا يجب أنْ يكون، فتحافظ على هذه المرتبة.

إذنْ قوله تعالى:-

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} تأكيد على المحافظة على صلتك بالله جلّ وعلا، هذه الصلة أو هذا العنصــر يبدأ معك أيّها المكلّف منذ انتباهتك لفطرتك وإلى تســليم الأمانة إلى ربّك سبحانه، وهذا ليس تفسيرًا وإنّما فَهْم وتأسيس لمبادئ نسير عليها، ولا نقبلها إلّا إذا كانت مستنبطة من كتاب الله تعالى وواضحة.

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [سورة المدثر: 3 - 4].

إذنْ الفهم البسيط هنا أنّ المشركين وضعوا الدّماء وسلى الجزور على رأسه الشــريف صــلّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصــحبه، وأتو بالنجاســات ووضعوها على بعض المسلمين، هذه أبسط فهم لقوله جلّ ثناؤه:

{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}

والذي أفهمه أوسـع من ذلك؛ لأنّ الثوب ما يلبسـه الإنسـان في عالم المعنى وفي عالم المادة، في عالم المعنى ثوب الإيمان، الله تبارك وتعالى مَنَّ على العباد بِلباس التقوى، ما هو لباس التقوى؟ هو ثوب الإيمان، وهذا يحتاج دائمًا أنْ نطهّره، وأنْ نزكّيه، سواء كانت هناك ذنوب أم لم تكن هناك ذنوب،

أكثرْ من الاســـتغفار، فلا تعرف، ربما أذنبت ونســـيت، ألم يقل الله تبارك اسمه:-

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَـاهُ اللَّهُ وَنَسُـوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [سورة المجادلة: 6]

يا لطيف! كمْ من الذنوب ارتكبناها ونسيناها؟

سألني أحد الأحباب مرّة: -سبحان الله- غالبًا الأعمال الصالحة التي نعملها، المواقف الجيّدة التي نعملها خاصّــة التي كنّا مخلصــين فيها ننســاها، ولكن الذنوب أكثرها تأتي علي بالنا وتزعجنا، فما الحكمة من ذلك؟ قلتُ: هناك حكم كثيرة، ولكن من أجلَى الحِكَم عندي أنّ ربّ العالمين حتّى يحمينا من العجب يُنسينا الأعمال الصالحة، وهذا دليل القَبول إنْ شاء الله تعالى لأنّ الله تعالى يقول:

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْـــعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّـــالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّـيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ} [سورة فاطر: 10].

إذا بقى العمل الصـــالح عندك أيّها العبد وأنت في كلّ مجلس تقول: أنا فعلت كذا، وفعلت كذا -نعوذ بالله تعالى- ربّما هذه التذكرة، وهذا الذكر لأعمالك بهذا الشـــكل دليل على أنّها لم ترفع إلى الله -نعوذ بالله جلّ وعلا-؛ لأنّ الله تعالى قال:-

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْـــعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّـــالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّـيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ}

والعمل الصالح يرفعه، وتذكّر الذنوب حتّى نتوب إلى الله عزّ وجلّ ونستغفر الله، تصبح عندك نشوة إيمانية، وصلة ربانية قوية، وبرزت أمامك الصورة بالجريمة التي ارتكبتَها في حقّ نفسك، والذنب الذي ارتكبته في حق نفسك، أو في حقّ غَيرك، فتفزع وتقول: استغفر الله، استغفر الله، هذه من رحمة الله عزّ وجلّ بالعبيد أنّهم يتذكرون الذنوب؛ حتّى لا تقول لك نفسك أيّها الداعي ما شاء الله عليك، عالِمٌ، وكذا وكذا، إلى آخره، ليس عندك ذنوب، لا، فأنت عملت ذنوبًا، وانظر إليها، مسلسل من الذنوب أمامك، اقعد واستغفر واجتهد على نفسك بالتوبة والاستغفار، وتوجّه إلى الله تبارك وتعالى.

وهكذا نرى أنّه في هذه السورة المَعالم التي ظهرت بوادرها في المرحلة الثانية، وهنا جاء التأكيد عليها، فمَنْ يقول إنّ الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، صلته بالله تبارك اسمه بوصفه قدوة للداعي، أنّه ذهب إلى خلوة في غار حراء، يقوّي صلته بالله جلّ وعلا إلى آخره، ليس مثلما بعد أنْ فُرضَتْ الصلوات الخمسة، وفُرِضَتْ السنن القبلية والبعدية، وفُرضت فرائض أخرى في الإسلام، صحيح أنّ نسبتها أقلّ، ولكن ليس قصدنا الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، كأحكام، كواقع حال.

فلو نتخيّل أنّ العبد كان عنده اجتهاد على نفسه في مرحلَة من مراحل حياته ثمّ بعد ذلك قوَّى هذا الاجتهاد وتعدّدت صوره، فتعتبر المرحلة السابقة أضعف من المرحلة التي هو فيها، فنرى أنّ ربّ العالمين سبحانه يؤكّد على المَعالم التي ظهرتْ في المرحلة الثانية؛ لأجل زيادتها والحفاظ عليها؛ لأجل عدم ضياعها.

{وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ} [سورة المدثر: 6]

أعمالك هذه لا تمنّ بها على الخلق وتراها كثيرة، مهما كثرت؛ فالله أعظم، والله أفضل {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [سورة المعارج: 5]

هنا أيضًا جاء التأكيد، فلاحظوا هذه المبادئ الأساسية دائما في كلّ المراحل تبقى قائمة، يجب الحفاظ عليها، بل يجب استثمارها والارتقاء بها إلى أعلى الدرجات، انظروا الشيء نفسه، الارتباط بالدار الآخرة، فإنّ الإيمان باليوم الآخر أقصر الطرق في الهداية.

إذن الارتباط بالدار الآخرة أقصر طريق لهداية الخلق، تعال يا بني أينَ أنت ذاهب، أمامك الموت والقبر وحساب وعقاب، هنالك أهوال، كيف تنجّي نفسك، الارتباط بالدار الآخرة، فلاحظوا هناك في بدايات ما أنزل قوله عزَّ شأنه:-

{إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ} [سورة العلق: 8]

{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [سورة المزمل: 17]

هنا ماذا قال تبارك في علاه:-

{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} [سورة المدثر: 8]

تذكير بالنفخ في الصور تذكير بقيام الساعة

{فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [سورة المدثر: 9 - 10]

نعوذ بالله تبارك وتعالى {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}

مفهوم المخالفة يعني على المؤمنين يسير، اللهمّ يا رب يسِّر علينا أهوال الآخرة، ولا تجعلنا نشعر بها، إنّك على كلّ شيء قدير، اجعلنا من الذين قلت عنهم وقولك سبحانك الحقّ:-

{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [سورة الأنبياء عليهم السلام: 101]

آمين يا ربّ العالمين.

وهكذا بعد ذلك بدأت تظهر لنا قصص وصور من المعارضة، سواء أكانت من أشخاص من العتاة والطغاة، أو من مجاميع، السورة تمضي في بيان هذه المعالم التي ظهرت في هذه المرحلة، إمّا معالم حديثة جديدة، وإمّا تأكيد لمعالم سبق الحديث عنها، وبيّنها ربّ العزّة سبحانه في آيات سابقة.

إذنْ: هذه المرحلة، مرحلة الدعوة الجماعية، اشتد فيها الاضطهاد، وبدأت معالم انتشار الدين تظهر بالتشريعات، مثلًا: أنزل الله جلّ وعلا سورة الكهف، وفيها ثلاث قصص، قصة أصحاب الكهف:-

{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} [سورة الكهف: 16]

إذن: الاعتزال عن الاضطهاد؛ لماذا؟ لأنّ هناك عنصرًا لا بُدَّ أنْ ينتشر، ولا بُدّ أنْ يؤكّد عليه، ولا بُدّ أنْ يلتزم به، وحتى نحافظ عليه لا بُدَّ أنْ نهاجر، ونسكت، ونكظم الغيظ، ونقبل بالذلّ، إلى آخره.

إذنْ: كأنّ ربّ العالمين يقول: هؤلاء فتية آمنوا وذهبوا إلى الغار، فأنتم، لماذا لا تفكرون قليلا، وتخرجون إلى مكان آخر، وإذا بالحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، يوجههم بقوله:-

(لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَـــةِ، فإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ) الإمام البيهقي رحمه الله عزّ وجلّ.

لأنّه صـلوات ربّي وسـلامه عليه وآله وصـحبه كان يبحث عمّن ينصـرُه، عمّن يقوم معه، وذهب إلى الطائف، وذهب إلى غيرها.

إذنْ: ظهرت التضحية، انظروا إلى الحبّ، لا حبّ من دون تضحية، لا حبّ من دون تحمّل لعذاب الحبّ، عذاب الحبّ يستعذب، ومرارة الحبّ تستعذب، تكون عســـلًا ثمّ يأتي العطاء، فهذه المعاني التي بدأت تظهر بشـــكل قوي وفاعل في المرحلة الثالثة.

الذي أريد أنْ أتكلّم عنه الآن هو عنصـر السـلمية في الدعوة، دعوة سـلام؛ لأنّ دين الإســلام دعوة ســلام، كم ضــغطوا عليهم، كم آذوهم، إلى درجة وصـلوا إلى القتل، إلى درجة وصـلوا إلى شـيء لا يطاق من العذاب، ولكن عالجوا العذاب بعذاب آخر، فالهجرة ليسـت سـهلة، الحصـار ليس سـهلا، تقبّلوه لكنّ كلّ هذا لأجل الحفاظ على سلمية الدعوة، هذا العنصر الأساسي في الدّين، الدِّين ليس حربًا، الدين سـلم، حتى هذه الكلمة لا يحبّها صـلّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصـحبه ومَنْ والاه، وهي: حينما جاءه أحدهم اسمه حرب، قال: أنت اسمك سلم، أو سلام، فهذا العنصـر الذي ينبغي أنْ يحافظ عليه، هو إنْ شاء الله تعالى يكون بداية حديثنا في اللقاء القادم بإذن الله تبارك وتعالى.

والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ صـلّ وسـلّم وبارك على خاتم أنبيائك، سـيّدنا وحبيبنـا وقرّة أعيننـا وملاذنـا حبيبنـا محمّد، وعلى آلـه وصـــحبـه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.